

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهمـ: "مثُلُ القائم في حدود الله والواقع فيها.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهمـ عن النبي ﷺ قال: ((مثُلُ القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينـة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيـبـنا خرـقاً ولم نؤذـ من فوقـنا، فإنـ تركـوـهم وما أرادـوا هـلـكـوا جـمـيـعاً، وإنـ أخذـوا علىـ أيـديـهمـ نـجـوا وـنـجـوا جـمـيـعاً))<sup>(١)</sup>، هذا الحديث يحمل معنى كبيراً، فهو يصور حال المجتمع الذي تقع فيه المعصية والمخالفـة، وذلك أنـ هذا المجتمع يركـب جـمـيـعاً سـفـينـةـ واحدةـ، فإذا عـدـ إـلـيـهاـ سـفـيـنهـ وـخـرـقـهاـ فإـنـهـ لاـ يـغـرـقـ نـفـسـهـ فـحـسـبـ، وإنـماـ يـغـرـقـ منـ فيـ السـفـينـةـ، فالـنـبـيـ ﷺ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يقولـ: ((مثـلـ القـائـمـ فيـ حدـودـ اللهـ))ـ أيـ المـادـعـ عنـ حدـودـ اللهـ، والـذـابـ عنـهاـ، الـذـيـ يـحـفـظـهاـ، ويـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـيـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ، وـيـغـارـ عـلـىـ دـيـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، ((وـالـوـاقـعـ فـيـهاـ))ـ وهوـ الـذـيـ يـنـتـهـيـ حـدـودـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، وـيـفـعـلـ ماـ حـرـمـهـ عـلـيـهـ، وـيـجـتـرـئـ عـلـىـ الـمـخـالـفـةـ بـأـيـ حـجـةـ كـانـ فـعـلـهـ ذـلـكـ، ((كـمـثـلـ قـوـمـ اـسـتـهـمـواـ عـلـىـ سـفـينـةـ))ـ، الـنـبـيـ ﷺ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـضـرـبـ الـأـمـثـالـ فـيـ أـمـورـ مـحـسـوـسـةـ تـقـرـبـ الـمـعـنـىـ بـصـورـةـ كـأـنـكـ تـشـاهـدـهاـ، وـهـذـاـ مـنـ الـبـلـاغـةـ، وـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ يقولـ: {وـتـلـكـ الـأـمـثـالـ نـضـرـبـهـاـ لـلـنـاسـ وـمـاـ يـعـقـلـهـ إـلـاـ الـعـالـمـونـ}ـ [الـعـنـكـبـوتـ: ٤٣ـ]ـ، فـذـكـرـ الـنـبـيـ ﷺ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ صـفـةـ هـؤـلـاءـ، وـالـمـثـلـ الـذـيـ يـصـدـقـ عـلـيـهـ وـيـوـافـقـ حـالـهـمـ، "استـهـمـواـ عـلـىـ سـفـينـةـ"ـ، والاستـهـامـ يـعـنـيـ الـاقـتـرـاعـ، وـذـلـكـ فـيـ حـالـ تـساـويـ الـحـقـوقـ، إـذـ تـساـوتـ فـإـنـهـ تـجـرـىـ بـيـنـ النـاسـ الـقـرـعـةـ، فـهـؤـلـاءـ النـاسـ أـرـادـواـ أـنـ يـرـكـبـواـ سـفـينـةـ، وـهـذـهـ سـفـينـةـ مـكـوـنـةـ مـنـ طـابـقـيـنـ، فـمـنـ الـأـوـلـىـ بـسـطـحـهـ؟ـ وـمـنـ الـأـوـلـىـ بـالـغـرـفـ الـتـيـ فـيـ أـسـفـلـهـاـ، وـالـحـقـوقـ مـتـسـاوـيـةـ، وـلـيـسـ هـنـاكـ إـلـاـ التـنـازـعـ أـوـ الـاقـتـرـاعـ؟ـ فـأـجـرـواـ بـيـنـهـمـ قـرـعـةـ فـخـرـجـتـ سـهـامـهـمـ، فـرـيقـ فـيـ الـأـعـلـىـ، وـالـآخـرـ فـيـ الـأـسـفـلـ، وـصـارـ حـقـ هـؤـلـاءـ أـعـلـىـ سـفـينـةـ، وـحـقـ هـؤـلـاءـ أـسـفـلـ سـفـينـةـ، يـقـولـ: ((فـصـارـ بـعـضـهـمـ أـعـلـاـهـاـ وـبـعـضـهـمـ أـسـفـلـهـاـ، وـكـانـ الـذـينـ فـيـ أـسـفـلـهـاـ إـذـ اـسـتـقـواـ مـرـواـ عـلـىـ مـنـ فـوـقـهـمـ))ـ، أيـ إذاـ أـرـادـواـ أـنـ يـأـخـذـواـ مـاـ الـبـحـرـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ الصـعـودـ إـلـىـ أـعـلـىـ سـفـينـةـ، فـقـالـواـ: نـحـنـ أـشـغـلـنـاـ هـؤـلـاءـ النـاسـ وـآذـنـاهـمـ وـضـيقـنـاـ عـلـيـهـمـ بـصـعـودـنـاـ الـمـتـكـرـرـ إـلـيـهـمـ، فـمـاـ هـوـ الـحـلـ؟ـ فـقـالـواـ: ((لـوـ أـنـاـ خـرـقـنـاـ فـيـ نـصـيـبـنـاـ خـرـقاـ))ـ، أيـ أـرـادـ الـفـرـيقـ الـذـينـ أـسـفـلـ سـفـينـةـ أـنـ يـحـدـثـواـ خـرـقاـ فـيـ نـصـيـبـهـمـ، وـيـسـتـقـواـ بـالـدـلـوـ مـنـ مـاءـ الـبـحـرـ، فـهـلـ يـتـرـكـونـهـمـ وـيـقـولـونـ لـهـمـ: هـذـهـ حـرـيـةـ شـخـصـيـةـ، وـهـذـاـ مـكـانـكـمـ، وـلـاـ أـحـدـ يـتـعـرـضـ لـكـمـ؟ـ، فـإـنـ تـرـكـوـهـمـ غـرـقـ الـجـمـيـعـ، وـدـخـلـ عـلـيـهـمـ الـمـاءـ، وـإـنـ أـخـذـواـ عـلـىـ أـيـديـهـمـ وـمـنـعـهـمـ نـجـواـ جـمـيـعاـ، وـهـكـذاـ الـمـقـارـفـ لـحـدـودـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، الـعـاصـيـ الـذـيـ يـظـهـرـ مـعـصـيـتـهـ، فـإـنـ الـمـعـصـيـةـ إـذـ خـفـيـتـ لـمـ

١ - أخرجه البخاري، كتاب الشركـةـ، بـابـ: هلـ يـقـرـعـ فـيـ الـقـسـمةـ وـالـاستـهـامـ فـيـهـ (١٣٩/٣)، رقمـ (٢٤٩٣).

تضر إلا صاحبها، إذا أغلق عليه بابه فهذا لا يضر إلا نفسه، يعبّ من المعاشي ما شاء، والله -عز وجل- هو الذي سيحاسبه عليها، ولا يجوز لأحد أن يتغسّل على الناس، وأن يتبع عوراتهم، فإن **(من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته)**<sup>(٢)</sup>، لكن إذا أظهر الإنسان المنكر أمام الناس، وكاشرهم به وأعلن، فماذا يفعل الناس معه؟ هل يتركونه بحجة أنها حرية فيغرق المجتمع جميعاً، والمعصية إذا ظهرت ضررت من عملها ومن لم يعملها، تضررهم في آخرتهم، وتضررهم في دنياهم، قد تنزل عقوبة عامة، فالذين مسخوا قردة وخنازير منبني إسرائيل إنما مسخوا بسبب المنكر والمعصية التي ذكرها الله -عز وجل-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث زينب بنت أبي سلمة لما قالت: أنهلك وفيينا الصالحون؟، قال: **(نعم، إذا كثُرَ الْخَبْثُ)**<sup>(٣)</sup>، أي: إذا كثر الفساد والمنكر، فإن ذلك يؤذن بهلاك المجتمع، فلا بد من سنة المدافعة، قال تعالى: **{ولَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ}** [البقرة: ٢٥١]، قوله: **لَهُدِّمَتْ** صوامع وبئر وصلواتٍ ومساجدٍ يذكُرُ فيها اسمُ اللهِ كثِيرًا [الحج: ٤٠]، فهو لاء الذين يفعلون المعاشي في الوقت نفسه هم يتسبّبون في نكبة المجتمع، قال تعالى: **لَوْلَا أَهْلَ الْقُرَى آتَيْنَا وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** { [الأعراف: ٦٩]، وقال الله عن بنى إسرائيل: **لَوْلَا أَنَّهُمْ أَقَامُوا التُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ** [المائدة: ٦٦]، يغدق عليهم فيوض النعم والأرزاق، فتكون مدراراً، ويتوسّع عليهم، وإذا عصوه فإنه سيذهبون ويهلكون، كما قال عن آل فرعون: **لَوْلَقَدْ أَخْذَنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّنَنِ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ** [الأعراف: ١٣٠]، كل ذلك يقع للظالمين وال مجرمين، ويُمنع القطر من السماء، ولو لا البهائم لم يمطروا إذا منع الناس الزكاة وهذا من أعظم المنكرات، ورد في بعض الآثار عن بعض السلف أن الجعلان في جحورها وأن الحشرات أو الهوام تموت بسبب ذنوب بنى آدم، والله -عز وجل- يقول: **لَظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِي النَّاسِ** [الروم: ٤]، فهذا الذي يقع للناس من خسائر في أموالهم، ومن أمراض لا يعرف الأطباء علاجاً لها، وما يقع لهم من ألوان المضار التي يُمنون بها في النفوس والأبدان وما أشبه ذلك كله بسبب الذنوب، وانظر إلى الأوجاع الغريبة التي تتفشى وتهدّد العالم، كم أنفقت من أموال، وكم كتب عنها، وكم بذلك من جهود، من أين تأتي هذه الأوبئة؟، بسبب الذنوب، والله -عز وجل- يقول: **لَوْمَا أَصَابُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتِ أَيْدِيْكُمْ وَيَعْفُوْعَنْ كَثِيرٍ** [الشورى: ٣٠]، فهذا الإنسان الذي يظهر المعصية لا يضر نفسه فقط، بل يضر المجتمع بكماله، فيجب أن يبقى المجتمع نظيفاً نزيهاً قدر الإمكان، وأن يؤخذ على يد الظالم والسفهاء، لا يخرق السفينـة، فهو لاء يقولون: **(لو أنا خرقنا في نصيـنـا خرقـاـ ولـمـ نـؤـذـ مـنـ فوقـنـاـ،ـ إـنـ تـرـكـوـهـ مـاـ أـرـادـواـ هـلـكـواـ جـمـيـعـاـ،ـ وـإـنـ أـخـذـواـ عـلـىـ أـيـدـيـهـمـ نـحـواـ وـنـجـواـ جـمـيـعـاـ)**، وهذا يلغـيـ لـغـةـ الـجـاهـلـينـ،ـ إـنـ أـنـكـرـ عـلـيـهـ الـمـنـكـرـ قـالـ:ـ هـذـهـ حـرـيـةـ شـخـصـيـةـ،ـ وـيـقـولـ:ـ فـلـانـ فـضـوليـ،ـ يـتـدـخـلـ فـيـ شـئـونـ النـاسـ،ـ وـخـصـوصـيـاتـهـمـ وـمـاـ أـشـبـهـ ذـلـكـ،ـ لـاـ،ـ فـالـمـنـكـرـ يـجـبـ إـنـكـارـهـ إـذـاـ ظـهـرــ عـلـىـ كـلـ قـادـرـ،ـ مـنـ أـجـلـ أـنـ نـلـقـيـ

٢ - أخرجه الترمذى، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (٤/٣٧٨)، رقم: (٢٠٣٢)، وابن ماجه، باب الستر على المؤمن، (٢/٨٥٠)، رقم: (٢٥٤٦)، وصححه الألبانى في صحيح الجامع، رقم: (٣٠٧٩).

٣ - رواه البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم (٣٣٤٦)، ومسلم، كتاب الفتنة وأشرطة الساعة، باب افتتان الفتنة وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم (٢٨٨٠).

التبعة عن كواهله، وأن نقوم بحق الله -عز وجل-، وأن نتخلص من ألوان العقوبات الخاصة وال العامة، هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.